في الجديد اللغوي

للدكتور ابراهيم السامرائي
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب - بغداد

لا بد لمن يعنى بتاريخ المشكلة اللغوية أن يعرض للعربية الفصيحة الحديثة (1) ليختم سلسلة البحث اللغوى التاريخى . وهذه المرحلة فى تاريخ لغتنا الفصيحة ذات خطر . ولعل سبب ذلك أن هذه اللغة لا بد لها أن تكون مادة هذه الحضارة الحديثة ، والحضارة الحديثة تقوم على الجديد فى كل باب من ابواب المعرفة ، وهذا الجديد فى مختلف أشكاله مصادره البلدان التى أخذت بأسباب الحضارة قلبنا نحن أمة العرب . وقد ورثنا لغة عربية ذات تاريخ طويل حفلت بثروة كبيرة وتهيأ لها من أسباب الرقى مواد كثيرة استعانت بها على مسايرة العصور فكانت الفكر النير والحضارة المشعة حتى اذا تحدرت الينا فى عصرنا هذا أمست هذه الفصيحة وكأنها ليست لغتنا ذلك أننا لا نباشرها مباشرة سليقة وطبيعة وبديهة بل ننطلق بأنماط مما نصطلح عليه باللهجات العامية . غير أننا فى هذا الوضع الخطير نحرص على فصيحتنا التى لا تلوكها ألسنتنا بيسر حرصا عظيما لاسباب عدة بعضها تاريخي وبعضها يرجع للحاجة التى نفتقر اليها افتقارا أصيلا .

ومن أجل ذلك كان علينا أن نوفر لهذه اللغة ما يكفل لها أن تكون لغة عصرنا الحاضر ، فعمدنا الى تعريب المصطلح العلمى فى مختلف العلوم والفنون كما اعتمدنا على وسائل أخرى منها الترجمة (2) وقد تهيأ لنا أن نذلل من المصاعب الكثيرة الجديد الذى اقتضته الحضارة الحديثة ، ولم يقتصر هذا الجديد على المصطلح العلمى بل تعداه الى أمور أخرى فقد تأثرنا باللغات الاوربية الحديثة ولا سيما المغربية منها فنقلنا طرائقها فى التعبير الى لغتنا . وكان من نتائج ذلك كله أن جاءت العربية الحديثة وهى جديدة من حيث دلالاتها ومجازاتها .

ولا أريد أن أحمل على الخطأ اختلاف الدلالة فى عصرنا لكثير من الالفاظ عما كانت عليه فى عصور سلفت ، ولكنى ارده الى القول بالتطور الذى جرت عليه اللغات عامة .

وها أنا اعرض للجديد فى الدلالات فى جملة مواد التقطتها من هذه الفصيحة المعربة فى أيامنا على سبيل المثال فلا أريد الاستيفاء لان ذلك يطول بى فيؤدى الى شيء لا يغنى عنه هذا المختصر . وسواء عندى الصحيفة اليومية والمجلة الادبية والوثائق الرسمية من لغة الدواوين فان جميع ذلك مصادر ينبغى ألا تغفل فى البحث اللغوى التاريخى .

---

(1) نشرت مقالة تتصل بهذا الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الاول المجلد الاربعين) بعنوان «تحقيق لغوي في الصيغ والاستعمالات» .

(2) أود أن أشير الى الفرق بين ما هو معرب وما هو مترجم عملا بما جرى عليه المتقدمون ، فالمعرب هو الدخيل الذي جرى على الأبنية العربية ، والمترجم هو اللفظ العربي المتخير لمعنى من المعاني الجديدة الواردة الينا .

ومن هذه الالفاظ ما نعرض اليه فنقول :

(1) احتج : ترد هذه اللفظة في لغة السياسة في أيامنا فيقال مثلا : « احتجت الحكومة الاردنية على الاعتداءات اليهودية المتكررة » . والمراد استنكرت الصنيع واعتبرته اعتداء ورفعت بذلك شكوى الى الهيأة الدولية . وورود «الاحتجاج» بهذا المعنى في لغة هذا العصر من الجديد المولد الذي حفلت به العربية ، وهو مخالف للاستعمال في كتابات المتقدمين ، وعندهم «احتج بالشيء» اتخذه حجة ليس غير» . فالاحتجاج كما يرد في الاستعمالات الصحفية جديد لم تعرفه العربية قديما .

(2) شجب : يرد هذا الفعل في عربيتنا الحديثة ولا سيما ما يكتبه أهل السياسة وأهل الصحافة ، فيقال مثلا :

« شجبت الصحافة العربية تأييد المانيا الغربية لاسرائيل» . والمراد أنها نددت بالتأييد واستنكرته . وهذا معنى جديد لم يرد في العربية قبل عصرنا هذا . وقد استعمل المتقدمون « شجب » بمعنى حزن أو هلك، وقد ورد شجب بالفتح يشجب بالضم شجوبا وشجب بالكسر يشجب شجبا فهو شاجب وشجب . وشجبه الله أهلكه . وليس في هذه المعاني ما يقرب مما نحن فيه من الاستعمال الحديث .

(3) فشل : وهذا الفعل من الافعال الشائعة في كتابات أهل هذا العصر وهو يعني ما يعنيه الفعل (خاب) . يقال : فشل في مسعاه ، أو كانت نتيجته الفشل . والذي نعرفه من استعمال هذا الفعل لا يقرب من هذا ، قال تعالى : «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» والفشل في الآية الكريمة الضعف والتراخي والجبن . وفي كتب اللغة : الفشل الرجل الضعيف الجبان . وعلى هذا فالاستعمال الحديث شيء جديد أدى اليه التطور اللغوي .

(4) خابر : وهذا الفعل يستعمل فيما يستعمل الفعل «أخبر» أي «أنبأ» وأكثر ما خص الاستعمال هذا الفعل هو الاخبار بالهاتف «التلفون» يقال : خابره أي كلمه وأنبأه مستعينا بهذه الآلة . وفي كل هذا ابتعاد عن الاستعمال الفصيح المشهور .

والمخابرة من لغة الدواوين الرسمية في ايامنا هذه في العراق . يقال : جرت مخابرة في شأن هذا الموضوع، أي حدث سؤال وجواب ومكاتبة بين جهات عدة في هذا الموضوع .

والمخابرة في الاستعمال القديم شيء غير هذا ولا يقرب منه في شيء ، فهي المزارعة ببعض ما يخرج من الارض . والخبر ان تزرع على النصف أو الثلث ، وهي المخابرة وهي الخبرة بكسر الخاء ايضا . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المخابرة . والمخابرة المؤاكرة ، والخبير الاكار ، قال :

تجز رؤوس الاوس من كل جانب

كجز عقاقيل الكروم خبيرها

(5) عاش : استعمل هذا الفعل استعمالا جديدا في أيامنا على طريقة المجاز ، فيقولون عاش المسألة او عاش المحنة بمعنى كابدها واحتملها وخبر من نتائجها .

وهذا الاستعمال كما يبدو نقل للاسلوب الاعجمي ، ففي الفرنسية يقال :

Il a vécu في الكلام على شيء مثل هذا . وفي الاستعمال الفرنسي يتعدى الفعل مباشرة ، وقد انتقل هذا التعدي في العربية من الاستعمال الاعجمي فشاع هذا الفعل في صيغة المتعدي . وقد تجاوزوا الفعل في هذا الاستعمال الجديد الى مشتقاته الاخرى كما في قولهم : الواقع المعاش بزنة اسم المفعول من غير الثلاثي وكان الصحيح أن يقال المعيش بالرجوع الى صيغة الثلاثي .

وقد شاع نقل هذه الاساليب الاعجمية في لغتنا العربية الحديثة حتى صارت من مادة عربية هذا العصر وطابعا لها . (3)

(6) مواطن : اسم فاعل من «واطن» أي ساكن وعايش وهو صيغة جديدة مولدة ، ذلك أن مادة «وطن» لم تنصرف الى هذه الصيغة في الاساليب القديمة . وكأنهم أرادوا بتوليد هذه الصفة من هذا الفعل الجديد أن يوجدوا ما يقابل الكلمة الافرنسية compatriote

(7) معاصر : اسم فاعل من «عاصر» وهذا الفعل

(3) أنظر « دراسات في اللغة » للدكتور ابراهيم السامرائي ص 239 .

كنظيره السابق مما ولده أهل عصرنا هذا لحاجة تقتضيها هذه اللغة الجديدة . وكأنهم أرادوا بـ «المعاصر» أن يقابل contemporain الفرنسية .

(8) رتيب : ويقال : حياة رتيبة ، والمراد ، حياة سائرة على وتيرة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير ، وهم يريدون بـ «الرتيبة» الداعية الى الملل والسأم . وهذا استعمال جديد لم يرد قبل هذا العصر . وقد ورد فى استعمالهم القديم «عيش راتب» أى ثابت دائم .

(9) صفيق : وهذا على فعيل من صفق بمعنى ضرب. وكأن الصفيق هو المضروب ثم تطور به الاستعمال فصار يعنى من لا يستحيى ، وهذا شىء جديد جد فى لغة هذا العصر .

(10) السطحى : والمراد من هذه الكلمة أنها صفة الرجل الذى لا يتعمق فى مباشرة الامور . وهذا ترجمة للكلمة الافرنسية superficiel ولما شاع هذا الوصف فى هذا المعنى المجازى صاغوا منه المصدر الصناعى «السطحية» للدلالة على عدم التفكير العميق فى النظر الى الامور .

(11) الانتهازى : والمراد من يحسن انتهاز الفرص والظروف محرزا فوائد تعود عليه بالمنافع . ومن هذه الكلمة صنعوا «الانتهازية» لهذا النوع من الخلق الاجتماعى . وهذا أيضا ترجمة للكلمة الافرنسية opportuniste ومن المفيد أن أشير الى أن كتب اللغة تشير الى صيغة «نهزة» بضم النون واسكان الهاء ومعناها الفرصة تجدها من صاحبك . ويقال : فلان نهزة المختلس أى هو صيد لكل أحد .

أقول : ان «نهزة» وزان «فعلة» وهى تدخل فى باب الاسماء التى تجىء على هذه الصيغة وتؤدى معنى اسم المفعول ، ولعلها من أسماء المفعولين القديمة غير القياسية نحو اللقمة والكسوة والضحكة .

وتقترن هذه الصيغة بصيغة أخرى تؤدى معنى اسم الفاعل وهى «فعلة» بضم الفاء وفتح العين نحو همزة ولمزة وضحكة . وعلى هذا فان الضحكة باسكان الحاء ما يضحك منه والضحكة بفتح الحاء ما يضحك من غيره مع افادة المبالغة أى كثير الضحك .

أقول : ربما كان من المفيد أن نفيد من هذه الصيغة فنصنع «نهزة» بمعنى «الانتهازى» قياسا على المسموع من هذه الصيغة .

(12) الانهزامى : وهو وصف جديد للمتخاذل الذى يذهب مذهب المنهزم فى سلوكه وآرائه فى مقابلة الخصوم . وهو من غير شك ترجمة لـ défaitiste

وصنعوا من هذا المصدر الصناعى «الانهزامية» فى المعنى نفسه .

(13) الوصولى : وصف لمن يريد أن يصل الى مآربه بكل طريقة ممكنة فلا يهمه أن يسلك الوسائل الدنيئة من أجل مبتغاه . وهذا ترجمة لـ « arriviste » والمصدر « الوصولية » من هذا المعنى . وهذا مثل الالفاظ السابقة كالانتهازى والانهزامى مما جد فى لغة عصرنا ولا سيما فى لغة الصحافة السياسية التى تعتمد كثيرا على الصحافة الغربية فتستعير أساليبها فى التعبير .

(14) الطليعى : وصف جديد لكثير من الموصوفات ، يقال : الدور الطليعى والحزب الطليعى وغير ذلك . وأحسب ذلك مثل قولهم فى الفرنسية avant-garde

وتعنى طليعة وقادمة ومقدمة من الاصطلاحات العسكرية والحربية . ولكن الكلمة قد تستعار الى غير هذه الشؤون فتدخل فى ألفاظ الحياة العامة ويوصف بها وان كانت غير نعت .

(15) العميل والعملاء : والعميل من ألفاظ التجارة والاقتصاد فى عصرنا ولا سيما فى المشرق العربى . و «العملاء» من يتعامل معهم التاجر أى الذين يشترون منه ، وهى تعنى «الحرفاء» جمع «حريف» كما فى معجمات العربية وكما هو مستعمل الآن فى ديار المغرب العربى ، كما تعنى الزبائن جمع زبون كما هو شائع الآن عند المشارقة مع وجود «العميل» و «العملاء» ولا تشير كتب اللغة الى هذا المعنى فى «زبون» .

والمهم الآن فى «العميل» و «والعملاء» أنها استعيرت الى ألفاظ السياسة فصارت نبزا وسبا ووصفا للعاملين فى صفوف الاعداء المستعمرين ضد أبناء بلدهم . وعلى هذا تجرى الكلمة مجرى «جواسيس» .

(15) المؤامرة : وهى من الكلمات التى حظيت بالشيوع فى عصرنا . يقال : حدثت مؤامرة فى البلد للاطاحة بنظام الحكم . وعلى هذا فالمعنى المراد الدسيسة والفتنة والتدبير المحكم للتوصل الى هذا الغرض . وهذا معنى جديد لم يرد قبل هذا العصر فى

كتابات المتقدمين ، ذلك أن المؤامرة هى المشاورة ، وفى الحديث : آمروا النساء فى أنفسهن أى شاوروهن فى تزويجهن . ومن هذا يتبين أن المؤامرة والائتمار المشاورة وكذلك التآمر على وزن التفاعل . ومن المفيد أن نشير الى أن التآمر فى لغة هذا العصر تعنى التدبير والتفكير الذى يؤدى الى مؤامرة وهى الدسيسة أو الفتنة كما بينا .

ويبدو أن كلمة «مؤتمر» ما زالت محتفظة بالمعنى الاول القديم للائتمار وهو التشاور .

(16) التأميم : مصطلح جديد من مصطلحات أهل الاقتصاد فى عصرنا . وهم يريدون به ترجمة الكلمة الاعجمية nationalisation والمصطلحات الاقتصادية الحديثة ولدت جميعها لتؤدى معانى الالفاظ الاعجمية مثل : الاشتراكية والشيوعية والاستعمار . وقد اقتضاهم الامر الى أن يعربوا ولا يسلكوا طريق الترجمة، فقد قالوا : «الامبريالية» وهى impérialisme لما وجدوا أن «الاستعمار» لا يقابلها تمام المقابلة .

(17) التخطيط : من مصطلحات الاقتصاديين الحديثة وهو يقابل planification ودلالته معروفة : ومن المفيد أن نشير أنه ما زالت مسألة المصطلحات العلمية الحديثة متأثرة بالاقليمية ، فقد نستعمل التخطيط فى اقليم من أقاليم العربية فى حين أن الاقليم الآخر يستعمل « التصميم » لاداء المعنى نفسه . ومثل هذا كثير فقد تطلع علينا صحيفة بعنوان كبير عن نشوب «مظاهرة» كبيرة فى بلد ما فى حين أن صحيفة أخرى تعدل عن «المظاهرة» الى «التظاهرة» .

وفى الوقت الذى استطاعت فيه العربية أن تؤدى الكثير مما جاء به العلم الحديث ، فما زلنا نستعمل فى صحفنا اليومية «المانشتات» manchette والماركات المسجلة marque و « الكليشات » cliché و «المناورات » manœuvre مع العلم ان هذه ليست مما لا يمكن ايجاد ما يقابلها من أبنية العربية .

(18) المعطيات : مادة جديدة شاعت فى كتابات المعاصرين فى السنوات الاخيرة وهى تقابل donnée الفرنسية أو قل ترجمة لها . والكلمة الفرنسية وان كانت تتصل بمادة « العطاء » من حيث الاصل (الجذر) ولكنها بعيدة عن مدلول العطاء فهى تعنى المعلومات أو الافكار الثابتة التى تنجم عن قضية من القضايا . والقارىء العربى الذى لا معرفة له بالفرنسية أو أية لغة غربية أخرى لا يدرك معنى « المعطيات » بوضوح ، وذلك لان مادة « أعطى » فى العربية لا يعرض لها التوسيع والمجاز على هذا النحو ، ونجم عن ذلك أننا قذفنا باستعمال جديد لم تجر عليه العربية . ثم ان « المعطيات » ليست من المواد الصعبة والتى تدخل فى حيز المصطلحات العلمية التى لا بد منها ، ومن الممكن نقل الكلمة الفرنسية donnée الى غير «المعطيات» مما يدركه القارىء العام .

ومن المفيد أن نذكر بعبارة معجم لاروس الصغير فى شرح هذه الكلمة :
Point incontestable ou admis comme tel. Idée fondamentale d'un ouvrage d'esprit.

(19) التقنى والتقنية : وهما تعريب للكلمة الافرنسية technique اسما ونعتا ، فكأن «التقنى» تقابل الاسم والتقنية صفة لموصوف مؤنث متخصص بها . وقد ترجموا terme technique بالمصطلح العلمى أو الفنى . والذى ألاحظه على المعرب الجديد « التقنى » عدم الوضوح فى كون هذه المادة تشبه مادة «قنى» العربية من حيث بناء أصواتها ، او تشبه مادة « تقن » . وعلى هذا فقد كان أكثر ملاءمة أن يعدل عن القاف فى «التقنى» و «التقنية» الى الكاف كما فى الاصل الاعجمى .

وبعد فهذه جملة مواد عرضت لها فى هذا الموجز وهى قليل من كثير أردت منها أن أوضح التطور والتوليد فى عربيتنا الحديثة التى هى مادة حضارتنا وجوهرها والله أسأل أن يكتب لى السداد فى القصد والعمل .